ثماني عشرة سورة من حياة

# فولتير

«أنا متقلّب كالحمل، نشيط كالعصفور، دؤوب كالسنجاب»

للكاتب اميل لودفج
نقلها: كامل محمود حبيب

في حجرة جميلة الاثاث، فاخرة الرياش، في دار في ناحية من باريس، جلست سيدة قد دبت اليها الشيخوخة فبدت غضوناً في وجهها، غير أنها ما زالت في قوة الشباب ونشاطه، جلست تنظر الى الشمس وتبسم لها وتصطلي بدفئها . . . . وجاء الظهر، ميعاد زيارة القس اليومية، وهو شاعر على علم بفن الموسيقى ثم هو يفقه النساء. دخل وإلى جانبه صبي عليه سمات الفطنة والذكاء كان قد نثر القس بعض شعره على عيني السيدة بالأمس. وراح القس يتحدث: إن أول ما بدا من عبقرية هذا الطفل حين جاء احد رجال القصر يطلب الى الأستاذ ان يكتب لهُ قصيدة يقدمها هو الى ولي العهد، وكان الاستاذ غائباً فجلس التلميذ الى نفسه حيناً ثم قدم لهُ قصيدة في عشرين بيتاً. ثم تناولها القس لينشرها أمام السيدة

ووقف الصبي بازاء السيدة متردداً، ثم انتزع عنهُ اضطرابهُ، فقبل يدها في احترام. لقد قبلها مولير، وهي ما تزال تحمل نسمات فيتوس، منذ نصف قرن. وابتسمت السيدة في رضا وبشاشة. وتصرم عام، وقضت الوصية، فاذا السيدة توصي بألفي فرنك للصبي يشتري بها كتباً. هذه هي نيفون دي لانكلو، سيدة في الرابعة والثمانين وهذا الصبي هو فولتير في العاشرة من عمره

جلس الاديب وهو في الحادية والعشرين في نديّ وهو في غيظ وسخط على كل ما يجيء به الملك والحاشية ولاسيما دوق اورليان الوصي، وجلس اليهِ ضابط من عيون اورليان يستدرجهُ في خداع ومكر، فاندفع الاديب يتهدم ويتهدم، وراح يفيض في ثورة وحماسة بعض ما نشره بالفرنسية حيناً وباللاتينية حيناً آخر، غفلاً من الاسماء. وأبلغ الجاسوس ما سمع، وترامى الى الوصي الخبر، ومضت أيام فاذا فولتير في سجن الباستيل وحيداً لا يرافقهُ سوى كتابين لهوميروس، ومنديلين وقطعة وياقتين وزجاجة عطر. ولبث في سجنهِ أحد عشر شهراً لا يرى المداد ولا الورق، فكان يكتب اشعاره بين أسطر الكتاب بقطعة من رصاص

ازدحت الكوميدي فرنسيز بالناس، وقد انقسم رجال الدولة والشعب الى حزبين يتفاخران وتهم الأمن والحقد . إن « أوديبس »[1] التي ألفها فولتير الصغير ستبدو أمام الناس ، ودوقة مين وأتباعها يأملون ان يروا الوصي وابنته ، اللذين يعيشان كما يعيش الرجل وزوجه ، يستشعران قوة النعسة فيما يرون فيهوين وقد جللها الفضيحة وآذاها العار ، مثلما هبط الزوجان الملوكيان في مملت . ولكن أورليان لم يرَ فيما أمامه ما يؤلمهُ فابتسم في رقة والى جانبه ابنته في كبريائها وصلفها، وقد حفت بها وصيفاتها الثلاثون، ما تستطيع ان تخفي بعض ما بدا عليها من جدّ واهتمام. وحين بدا نجاح الرواية اندفعا يصفقان مع الناس ، وفولتير ينظر من خلف الستر وفي نفسه الطرب والنشوة لما لاقى من انتصار ثم انطلق ليرى . . .

وهدأت العاصفة ، وظهر هو في مقصورة المارشال ، فعلى هتاف من جوانب المسرح ينادي زوجة المارشال الجليلة أن « قبليه . . . قبليه » فما استطاعت هي الأ ان تنزل عند رأي الجمهور الملتاج

* * *

تلاقى ڤولتير وشاب من النبلاء في مقصورة أدريان ليكوفرور في ليلة من ليالي الشتاء ، ولشد ما آلم الشاب أن يرى هذا الاديب الوضيع يرافق السيدة ، فراح يتندر عليه أمامها « ما اسمك الحقيقي ؟ أهو مسيو دي فولتير أم مسيو آروية فقط » فأجابهُ فولتير « وماذا يعنيك ؟ ان اسمي يبتدىء معي ثم يطير عني الى غيري أما أنت فاسمك ينتهي عندك ! » فثار به النبيل ورفع عصاه، غير ان فولتير سلّ سيفه . ومضت أيام ، وبينا فولتير يدلف من قصر مضيفه الدوق الذي حباه بفضله وكرمه سنوات عدة ، وجد نفسه بين جماعة من سفلة القوم وأراذلهم ، ينهالون عليه ضرباً ولطماً ، والنبيل الشاب على خطوات ينظر ويبتسم . ووجد هو مهرباً فطار الى الدوق يطلب اليه المعونة فأبى

وتراءى لفولتير أن ذكاءه وعبقريته قد رفعاه الى أن أصبح صديق العظماء والنبلاء ، ثم هو في رعاية المرأة التي كانت الحاكم الحقيقي لفرنسا ، وقد اندفع في حياة سياسية عالية خلق لها ، فعزّ عليه ان يكون هو هو ثم يجرَّح فلا ينتقم . والآن ، وهو يسل طول يومه محصناً ، راح يدعو النبيل الشاب الى المبارزة ، وينال من كرامته تحت سمع الناس وبصرهم ، وينثلم شرفه كلما وقع عليه نظره ، غير ان أقارب الشاب من الكرادلة والأمراء أرادوا ان يقفوا سدّاً في وجه هذه المبارزة ، فقبضوا على الأديب السفيه وقوه فانطلق الى انكلترا

* * *

ظلّ فولتير في باريس زماناً يتوارى عن الانظار ، ثم ضاق بهذه الحياة المقيدة فانطلق من مكمنه يطير وضع أنى شاء ثم استقرّ به المقام في دار تاجر قمح ، وهنا . . . في هذه الدار كان يلتقي كل من يهفو فهوه . وجاءت اليه دوقة سانت بير وصديقها تراضهما سيدة عليها مسحة من جمال

(١) اوديبس : أحد ملوك طيبة اليونانية قيل انه قتل والده وتزوج أمه

غير أنها جذابة آسرة الها أنف كبير ، وفم صغير جميل ، وذقن لطيف ، وعينان خضراوان صافيتان ، وجبهة بيضاء ناصعة تتدلى عليها خصل من الشعر الاسود الفاحم فتزيدها رونقاً وجمالاً ! ثم هي على جانب كبير من التربية والتعليم والتجربة . ورأى الشاعر كل ذلك — لاول مرة — فراعهُ ما رأى ! وهي ... هي المركيزة دي شاتيلي تتزعما هي عليه من علم وذكاء . وحين جلسوا للغداء راح الشاعر يقرأ هذه الانشودة :

يا للسماء ! إني أسمعها تردد هتاف الترحيب ،
وكذلك ماريان الطاهية ،
لأن دوقة سانت بير ،
ودوقة دي شاتيلي ، وفوركاليه ،
هنا يتناولون الغداء في كوخي الصغير ،

وظلت إميلي المقدسة — منذ الليلة — صديقة الشاعر مع عشرة سنة . لقد كانت خليلته أولاً ثم صديقته ومحاميته . وقضى هو هذه السنين الطوال إلى جانبها على حدود اللورين ليستطيع في عهد اضطهاده — أن يفر متى حزب الامر

* * *

في حجرة مقفرة في قلعة في كليف شاب ضيف في الثامنة والعشرين ، تلتف في ملابس الصيد البروسية وأستلقى على فراشه تعركهُ الحمى وهو ينتظر وصول استاذه منذ سنوات اربع . لقد ارسل اليه سيلاً من الخطابات بعضها نثراً وبعضها شعراً ، تحمل تفتات صدره وآلامه وتحمل إعجابه وحبه ، فهو يقارن بينهُ وبين أبولو وسقراط وشيشرون وبلينيوس وأجريبا . غير ان هذا الفرنسي لم يأن له ان يأتي . ولعل كلمات التملق هي التي حالت بينهُ وبين أن يحضر ! لطالما أراد ان يكشف له عن بعض ما في قلبه فدعاه تراجان وترجيل وطيطس واغسطس . وحين تلاقيا كانت الحمى تريد ان تصرع الفتى الالماني

ونزت بيزوات الخاطفة الجامحة حين رأى أستاذه فراح ينفض عن نفسه آثار الحمى ، لقد سخرا معاً مما كانا يزعمانه من اختلافات بينهما ، ووجدا لذة عقلية في تلاقيهما . هذان هما فردريك وفولتير

* * *

على مائدة ريشليو ، صديق شاعرنا وشبيهه في الحكم والذكاء والدهاء ، جلسوا يبحثون في شجاعة وصراحة ما بلغت إليه فتاة اورليان من مجد . واطأن الجميع إلى ان فولتير وحده هو الذي يستطيع أن يتناول هذا الامر بقلمه ، فأجاب وهو يبسم « ان فتاة الحان التي تمر من حانها لتموت حرقاً لجديرة بلاذع الهجو ! » ولكنهم مضوا يقنعونهُ ، وبعد لأي ، انسحب هو وكتب المقاطع الاربعة الاولى ، ثم نشرها على اعين الجميع فهتفوا لهتاف الاستحسان والاعجاب

وكانت هذه فاتحة «لابوسيل» احدى رواياته الجريئة التي عالج فيها التاريخ والدين كأنما يعالج طلسماً ، وظلت على السنين تحمل أفكاره الحرة وتهكماته المرة ، ثم أخفى اسمه ، غير أنها طارت في نواحي باريس موسومة باسم فولتير

* * *

في قصر فرساي وفولتير في الحين يهتم بما يشغل الناس، وعلى مسرح القصر الصغير تحت عيني الملك والملكة وولي العهد والامراء والنبلاء والكرادلة، راح فولتير — وقد ألقى اليه قيادالمسرح — يثبّ هنا وهناك بين الموسيقيين ومحترفي الرقص والرسامين يثير الكلمات والاوامر في نشاط ويقظة. لقد رفعته سيدة وضيعة المولد الى هذا المنصب حين شغفها مؤلفاته حبًّا : هي السيدة دي بومبادور . وأصبح هو شاعر الدولة في ربوع القصر . وصدر الامر الملكي

« فرساي في أول ابريل سنة ١٧٤٣

إن الرغبة السامية ... رغبة جلالة الملك قد رأت أن تمن على السيد أرويه دي فولتير بلقب «السيد»، حين لم نجد من يستحق هذا اللقب سواه ، لما بدا لها من ذكائه ولنشاطه وقدرته على العمل، ولما رأت من عبقريته في العلوم والآداب التي أنكبّ على دراستها فبزّ فيها من هو في سنه العالية وفاق نظيره»

وابتسم فولتير وهو يدس في جيبه الذي جنبه ، راتبهُ السنوي ، ثم انطلق يترنم :

سيدي هنري الرابع ، وسيدتي زاير ،
وسيدتي ألزير الاميركية ،
كل اولئك لا يساوون عندي نظرة ملكية واحدة :
إن لي الف عدوّ يحسدوني على مجدي الضئيل
وبرغمهم هطلت عليّ ألقاب الشرف والثروة كالمطر
كل هذا جزاء أضحوكة ( لافوار )

* * *

على مائدة الملكة الخضراء في فونتينبلو جلست صديقة فولتير المركيزة دي شاتيلي تلعب ، فخسرت اربعمائة جنيه ، ثم امدّها هو بمائتين خسرتها هي الاخرى ، واستطاع خادم ان يقترض لها مائتين أخر بأرباح مضاعفة فخسرتها ايضاً و ... لقد خسرت في هذه الجلسة اربعة وثمانين الف فرنك وفولتير الى جانبها يحذّرها ، ثم نادى شجاعته وصراحته فقال لها : انهم يخدعونها ويغشونها ... أفيكون ذلك حقًّا وهي تلعب على المائدة الملكية . وفي هذه الليلة ارغما على ان يطيرا بعيداً خشية الفضيحة

واسكنتهُ دوقة عجوز من صديقاته قلعة على بضعة اميال من باريس ، وأمضتهُ الوحدة وهو يعيش في حجرة ثانية منفردة ، قضى فيها ثلاثة اشهر لا يرى الخلاء ولا يخرج الاّ عند الثانية

بعد الظهر ليتناول الغداء في حجرة نوم الدوقة ثم ليقرأ لها ما كتبهُ في يومه . في هذه العزلة استطاع ان يكتب خمساً من رواياته القصيرة

* * *

في حديقة قلعة كوميرسي حيث ضيوف ملك بولانده الذين شغلوا بعض مناصب الدولة حيناً من الزمان ، جلست المركيزة في كبريائها وجمالها وقد بلغت الاربعين وقد نهضت بدها من حب فولتير منذ سنوات عشر لانهُ خطا الى الشيخوخة خطىً فساحاً غير انها ما برحت صديقته الوفية. لقد جذبها فتىً في الثلاثين فراحت تتزين لهُ وتتبرج تريد ان توقعهُ في حبالها . انهُ هو السيو دي سانت لامبير الذي احبتهُ خليلة الملك

في الرابعة والخمسين من عمر فولتير ، وفي امسية هادئة انطلق من حجرته قبيل العشاء، ودخل على غير ميعاد حجرة صاحبته ، فوجدها الى هذا الشاب في حالة تبعث في النفس الشك والريبة ، فاضطرب واستشعر لذع الحيانة في قلبه ، وأصرّ على ان يبرح الليلة ، غير ان خادم فولتير — وقد اوحت اليه السيدة بأمر — ارتد يقول لسيده ان العربة لا تستطيع السير . وتحدثت هي الى فولتير — والليل ساج — حديثاً ظلّ في طيّ الكتمان حيناً من الدهر ، والمركيزة تخفي صاحبها في قصرها . قال فولتير « اتريدين ان اصدقك بعد الذي رأيت ؟ لقد بذلت صحتي وسعادتي في سبيل رفاهيتك ثم تخونين عهدي ! » قالت « انني احبك حبًّا شديداً ، غير انني قد سمحت لشكوك تهدم قوتك ثم قلت انك لا تستطيع ان تعيدني دون ان يكون في ذلك مضرتك ، فلماذا تثور حين اريد ان ارفع عنك بعض ما يثقلك ؟ » قال « هذا حق ، ولكن حذار ان يحدث هذا مرة اخرى تحت عيني ! »

وفي الليلة التالية بدا خصمه امامهُ يعتذر ويسأله الصفح ، فقال لهُ « يا بنيّ ، لقد بلغتُ من الكبر عتيًّا ، وأنت ما تزال في سن السعادة والمرح ، تستطيع ان تشق وان تستميل قلوب النساء ! انتهز هذه الفترة الذهبية من العمر . أما انا فرجل حطمتهُ الايام ، لا حول لي ولا قوة ، فما اصلح لما تصلح انت له » ! . وعلى مائدة خليلة الملك تناولوا جميعاً طعام العشاء ، في الليلة الثالثة

وانقضت اشهر بدت ، بعدها ، سمات الحمل على المركيزة ، وجلسوا جميعاً يتشاورون في امر الطفل وهل تستطيع هي ان تعلن امر زواجها من هذا الشاب ليكون أب الطفل الجديد ؟ فأجاب فولتير في غيظ « لا بأس . فسنضم هذا الطفل الى مؤلفات السيدة المديدة ! »

* * *

لازمت المركيزة فراشها وفولتير الى جانبها يمرضها ، ورفض دعوة ملك بروسيا الملحة ليكون في جوار صاحبته يسهر عليها ويعنى بأمرها وهي تضع ابن غريمه ، وحين وضعتهُ تألق البشر في وجوه من في القصر . وبعد اسبوع هاجمتها الحمى فتصدعت محياتها . وظل الزوج الحبيب واقفاً بإزائها،

أما فولتير فأطلق ذاهلاً في هدوء الى الطبق الاسفل . وفي نهاية السلم سقط فشجّ رأسه ، واندفع غريمه يعينهُ ، وحين أفاق نظر الى الشاب في سكون وقال « لقد قتلتها ! »

* * *

استعار الرجل الفرنسي وهو في بوتسدام من آخر من برلين قطعتين من الماس يزين بهما وهو يمثل دور شيشرون في احدى رواياته امام الملك فردريك ! وبعد أن صاحب فولتير الملك ثلاثة اشهر قلّده منصباً في البلاط الملكي البروسي براتب سنوي قدره عشرون الف فرنك . ولما كان فولتير لا يطمئن الى ما ربحهُ من كتبه العديدة التي نشر كثيراً منها لا يحمل اسماً ، كما يطمئن إلى ما يملك هو ، ثم هو يريد ان يكون دائماً في بحبوحة من العيش ، فقد ارسل يهودياً الى درسدن يشتري لهُ اوراقاً مالية سكسونية تبلغ اربعين الف فرنك ، وكانت هذه الصفقات حراماً على البروسيين فحنق الملك على فولتير حين ترامى اليه الخبر

وقدّم للمحاكمة ، وراح فولتير يدفع عن شرفه وبالته التهمة ببراهين وأدلة بدت فيها عبقرية الرجل ثائرة لا هدأ ، قوية لا تضعف . وانتهى الامر بوساطة ذوي الرأي والجاه ، غير ان الحادثة كشفت امام الملك ناحية من نواحي الرجل السامية

ثم ... ثم اندفع بهاجم موبرتيس مواطنه وزميله في «سان سوسي» دون ان يصرح باسمه فيما يكتب ، فغضب عليه الملك غضباً شديداً ، وأمره ان يحرّق هذه الرسالة في الطريق على اعين الناس ، فأبى فولتير وقدم استعفاءهُ من وظيفته ورد كل ما جاء به الملك مع ابيات من الشعر:

لقد تقبلتها في سرور وطرب ،
والآن أردها في اسىً وحزن ،
كعاشق أتاني ، سلّطت عليه الخواطر السود ،
فرد الى الفتاة التي أحب رسمها

غير أن الملك لم يتركهُ يفلت ، فردّ اليه ما أرسله في نفس الليلة ، ومضت أسابيع تخللتها مخاصمات ومصالحات ، ثم جرى الحديث بين الملك وفولتير أثناء احتفال باهر ، قال الملك: « سيدي فولتير ، اني أرى رغبتك في السفر مُلحة ! » قال « سيدي ، بالرغم مني ما أريد ، لانها صحتي . . . » قال الملك اذن أتمنى لك سفراً سعيداً ! »

وغادر فولتير فما رأى أحدهما الآخر بعد ، وجاءته الخطابات تترى تحمل في ثناياها شتى ألوان التقدير والاعجاب ، فما انقطع سيلها الا بعد أربع وعشرين سنة ، حين مات الشاعر

* * *

لقد جاوز الستين وهو يعيش الى جانب جنيف عيشة أغنياء البلاء ، وقصره الصغير يعج بالضيوف من مختلف الأمصار ليروهُ وليسمعوا منهُ . وأصبح يملك عربة ، ولهُ خدم وطاهٍ من باريس وسكرتير ولقد نجحت رواياته على مسرحه الخاص نجاحاً باهراً ، أثار حقد مواطنيه من البلاء

هنا على حدود وطنه ، الذي اضطهده وشتت شمله لأنهُ عرف كيف يفكر بعقل الفيلسوف عاش أكثر من عشرين عاماً ، يتنقل في هذه الناحية في حذاء وجوارب سود ، وسترة قصاصة من الحرير ، وقبعة من المخمل او في شعر مستعار ، ثم هو يعمل في نشاط ، ويطالع في نشاط ، ويستقبل ضيوفه من العظماء والعظيمات . واتخذ الحيطة فاشترى ضيعة في سويسرا وأخرى في فرنسا ليستطيع ان يفر من واحدة الى أخرى متى حمل على ذلك

وحين كبرت سنه لم يستطع ان يشبع نهم ضيوفه من المفكرين والفلاسفة ، فبذل قصارى جهده في العناية بأمر الفلاح ، وأصاخ الى صيحاته الحزينة المكفوفة ، فاستطاع أن يحصل من مجلس المدينة في جنيف على تصريح يخوّل لهُ نزح المستنقعات التي تحيط بضيعته ليحفظ على الناس صحتهم ، واستطاع ايضاً ان يرفع نير استعباد المزارعين عن صغار الفلاحين

وهو الآن يعمل ما يعمل الفلاح الصغير فهو يحرث ويبذر في حقله المسمى حقل دي فولتير وظلَّ يقوم عليه بنفسه حتى جاوز الثمانين وانطفأت منّته ، وكان فولتير ايضاً كريم النفس ، سخيّ اليد ، يساعد المعوزين والفقراء من أبناء مقاطعته ، ولقد شجع صناعة الساعات الدقاقة ، وهو اول من أدخل صناعة نسج الحرير ، فحوّل مسرحه الى بيت لدود القز

في هذه الآونة ايضاً دأب اشهراً ليطلق سراح امرة في تولوز كان قد اتهمها القضاة المتحصبون باطلاً ، فهاجم ما نشأ في القضاء الفرنسي من فساد ، وما ساد من استعباد

لقد كان العدل هدف فولتير الاعلى

* * *

وفي عصر يوم من ايام فبراير وقفت عربة على باب باريس الغربي ، وسأل ضابط : او يكون على ظهر هذه العربة ما يحرم دخوله ؟ فأجاب رجلٌ همّ في صوت يضطرب « لا اعتقد ، ليس هنا سواي ! » وحدق فيه ضابط ثم أقسم « والله انهُ لهو فولتير ! »

لقد جاء يزور باريس للمرة الاولى والاخيرة منذ عشرات من السنين ، وتوارى وراء المسرح والروايات واعماله العديدة يتخذ من كل ذلك ستاراً يقتح امامه ما استغلق ، ولكنهُ كان يريد أن يجد فرصة يزور فيها باريس ، وكانت باريس تتمنى لو اتيح لها ان تراه . وكان هو قد هاجم كلاً من البلاط والكنيسة فأمضها ، فالاول يريد أن يبعده عن باريس والثانية تريد ان تستدرجهُ علّهُ يؤمن ، ولكنهُ وجد ترحيباً من الاكاديمية ومن الزعماء السياسيين ومن زعماء المسرح ، فكان يزوره نيفٌ وثلثمائة شخص في اليوم الواحد ولقد ابتدأ هو فزار المرأة التي كانت أولى من أحب ، والتي لم يرها منذ ستين عاماً . ولقد اثرت في نفسه هذه الزيارة وأثرت في نفسها هي ايضاً ، حتى انها ردّت اليه في اليوم الثاني صورتهُ حين كان شابًّا

* * *

لاول مرة في مدى سبعين سنة ، وفولتير تتناهبه الاسقام وانحطاط القوة ، وقع مع نفس

في نقاش ديني ، غير ان واحداً لم يعرف ما استقر عليه رأي فولتير . وجعلت الكنيسة تتملقهُ حتى اقر بأنهُ يريد أن يموت على المذهب الكاثوليكي ثم قال « ... واني لارجو ان يغفر لي الله وان تسامحني الكنيسة فيما فرط مني نحوها » لقد انتحى فولتير الى هذه الخاطرة حين أدخل في روعه أن جثته — إن لم يفعل — ستلقى في العراء . ولكنهُ حين جاء القس يلقنهُ بعض الطقوس الدينية أوقفهُ قائلاً « تذكر ان دمي لا يزال ملوثاً ، ويجب علينا الا نخلط بهدم الله ! »

وراح يصد هجمات الكهان وهو يقول في غضب : انهُ لن يذعن كما اذعن اولاً . وعلى حين فجأة ارتدت اليهِ صحته . لقد كانت خطواته في الاكاديمية موفقة ، وعلى المسرح الباريسي لاقى احتفاء لم يفز بهِ من قبل شاعر . وحين اضطره اصدقاؤه ان يبدو امام الناس ، أطلَّ من مقصورة في المسرح ثم انحنى يحيي الجمهور ، ثم رفع رأسه وقد اغرورقت عيناه بالعبرات وقد ظلت طول عمره قوية صافية . وحين ارتد الى داره جلس يحدث نفسه وهو يبتسم (انك لم تخبر الفرنسيين ، لقد رحبوا بروسو في مثل هذه الحماسة والاندفاع في يوم ، وفي اليوم التالي أمر فقبض عليه ! ) ثم اشترى داراً في باريس وعزم على ألا يبرحها حتى يحين حينه

ولكنهُ اسرع نحو النهاية فانحطت قوته على حين بغتة ووافتهُ المنية بعد اسبوعين

* * *

وأبت عليهِ الكنيسة قبراً ، وأخذ الطبيب ، وهو يشرحهُ ، رأسهُ الشاذ القوي ، وأخذ صديق قلبه . وفي المساء كانت جثتهُ في ملابسها وقبعتها وقد لُفَّت في رقق ، تبدو كرجل نائم ، وأبعدت على مركب . وحرمت الكنيسة الموتورة على الاكاديمية ان تقرأ شيئاً مما كتب الميت الجاحد ، وحرمت على الصحف ان تنشر كلمة عنهُ ، وأبعد رئيس دير لانهُ لم يستطع ان يمنع نقل الجثة ، ودفن الميت سراً الى جانب احد ذوي قرباه

وفي سنة ١٧٩٠ اي بعد اثنتي عشرة سنة احضر رفات فولتير ، مع اول نسمات الثورة ، الى باريس في حفل حاشد ودفن في الپانتيون . ومثلت الحجرة التي لبث فيها زماناً سجيناً في الباستيل ، بالزهر والنقوش ودوت بالاغاني والموسيقى . وفي وسط المشاعل والموسيقى بين مئات الآلاف من الناس مرت العربة تحمل رفات الرجل العظيم ونثرت عليهِ آخر كلمات التقدير « لقد نفث هذا الشاعر المفكر والمؤرخ في الانسانية من روحهِ السامية فتأهبت للحرية »

* * *

وتحطم التابوت الرصاصي في الپانتيون ، حطمهُ جماعة من الشبان المارضين في احدى ليالي مايو بعد أربع وعشرين سنة ، وجمعوا عظامه وأودعوها حفية ، وحفروا لها حفرة في دار مهجورة على حدود العاصمة ، وهكذا ضاع رفات هذا الرجل العظيم في التراب

* * *

وليس يعرف احد الآن اين وقعت عظام فولتير